

ولنا لنختم هذا الباب دون ان نستلفت ثانية اناظر قراننا الافاضل الى اهمية تعلم اللغات السامية ومقابلتها بعضها لبعض. قمي ما مر من الشرح مثال جلي على ذلك مع اقرارنا بقصورنا وليس الكمال الا الله (ستأتي البقية)

الروم الملكيون

نبذة في اصلهم وجنسياتهم

للاب منري لانس البوسني

قد اطلعنا في العدد الاخير من جريدة المنار (١٠ شباط) على مقالة عنوانها صاحبها الاديب امين ظاهر خير الله « باصل الروم الارثوذكس في سرديا » وفيها يقيد ما اعترض عليه بعض المنتقدين لمقالة كتبها سابقاً بين فيها ان روم الشام الارثوذكس ليسوا من اصل يوناني بل هم سرديون جنساً (قلنا) ان لهذا البحث من الخطر والثان ما استدعانا الى ابداء رأينا في هذا الخصوص. ودفماً للشبهة في حقيقة ما توخينا اثباته نفيد قراءنا اننا ندعو هنا باسم الملكيين (١) كل النصراري السوريين الذين يتبعون الطقس اليوناني سواء كانوا من الكاثوليك او الارثوذكس. وهو اسم لسري جليل أطلق عليهم جميعاً منذ قرون عديدة يفرضهم عن سواهم من الطوائف النصرانية. وكان الاولى بالروم الارثوذكس في بلادنا ان يحافظوا عليه كما فعل الروم الكاثوليك ولا يفنوه ظهرياً ليحدثوا لهم اسماً جديداً علي مثال اخوتهم الروسيين لاسيا وان اسم ارثوذكس اي المستقيم الايمان تدعيه كل الطوائف بلا استثناء. الا ترى مثلاً ان الارمن النريغوريين واقباط مصر يلقبون انفسهم بالارثوذكس مع ان الروم يعدونهم من الهراطعة اليعقوبية

(١) ان اسم الملكيين قديم العهد عند كتبة العرب وهو قد ورد في تأليف القرن التاسع. بروونه على صور شتى كالملكية وهو الاسم الشائع بينهم والملاكية كما رواه القلقشندي والملاكية على رواية البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٨٨ الح) وقد ذكر القلقشندي في الجزء الرابع من كتاب الصبح الاعشى ان بين اسما. بابا رومية اسم بطريرك الملكية

وقبل الحوض في هذا البحث يحسن بنا ان نذكر القراء ان اهل سورية قبل فتح الاسكندر لبلاد الشام كانوا سوريين ينتمون الى الآراميين ويتكلمون بلغات شتى مرجعها كلها الى اللغات السامية التي امتاز بينها اللغة السريانية واللغة العبرانية هذا ولا ننكر ان بين هؤلاء سكان سورية كان قوم من الاجانب ممن ابقاهم الاشوريون والمصريون والحثيون والفرس بعد فتحهم لبلاد الشام ولا ريب في ان العرب كانوا احتلوا في سورية الشرقية وجعلوا لهم فيها المستعمرات العديدة. على ان هذه الاخلاط القريبة لم تقوَ على الاهلين الاصليين فبقي السهم الملقى للآراميين ولم يغير فتح الاسكندر احوال اهل سورية تغييراً يذكر. فانّ ذا القرنين كان اذا امتلك بدأ أمن اهله وجعل عليهم عمالاً من اصحابه مع عدد كافٍ من الجند لرد هجمات الاعداء. ثم كان يسير بجيشه الى اقطار جديدة ليستولي عليها. وهذا ما فعله بعد فتح الشام فأنه اقام فيها الحكام وبعض فرق من الجند لا يتجاوز عددهم بضعة ألوف. وكان ذلك كافياً لكبح جماح العصاة لاسيما وان كلمة السوريين كانت متفرقة وهم قد اعتادوا الخضوع للدول الظافرة فكان سواء عندهم ان يطيعوا لحكم الاشوريين او يتقادوا لامر المصريين او اليونان وكلهم لديهم غرباء قاهرون لحرمتهم رزد على ذلك ان اليونان كانوا في بلادهم القاحلة قوماً قليلين فكيف يقبل المعتل ان الاسكندر اخرجهم من اوطانهم ليسكنهم في بلاد غريبة. وغاية ما يقال ان جالية اليونان سكنوا بعض انحاء المدن كانطاكية او بعض الحواضر الساحلية ولقائل ان يقول ان انتشار اللغة اليونانية في بلاد الشام دليل واضح على ان السوريين من اليونان. (جوابنا) ان هذه اللغة مع شيوعها في الاقطار الشامية لم تتجاوز المدن الكبرى. ولما كانت اليونانية هي اللغة الرسمية في الدوائر السياسية والمعاملات التجارية اقبل السورديون عليها فاتقنوها بما طبعوا عليه من الحدق والدراية كما يقبلون اليوم على درس الفرنسية او التركية. لكن اهل القرى والمدن لم يغيروا لسانهم الاصلي وداوموا على التكلم بالآرامية. وما لي اقول اهل المدرفان جمهور الشعب في نفس المدن لم يزل محافظاً على لسانه القديم (١). ولنا في ذلك شاهد صادق في قول اوريجانوس

(١) راجع كتاب التصاري للطيب الذكر المطران اقليس داود (ص ١١)

العلم الشهير في المئة الثانية لليلاد حيث يقول (١) « لو شاء يوناني أن ينام السورين تلياً مفيداً لكان اولى به ان يدرس لغتهم من ان يباحثهم باليونانية بلا منفعة ». ومن ذلك أيضاً ما كتبه القديس يوحنا في الذهب (٢) وذلك بعد مرور سبعائة سنة على ابتناء مدينة انطاكية « انه يتأسف لعدم معرفته للغة الوف من سكان القرى الذين تقاطروا الى انطاكية لحضور الحفلات الدينية . وهو يشهد في محل آخر (٣) « ان جهل اهل القرى باللغة اليونانية من الاسباب التي تجلب اهل المدن الله من القرويين بالتعاليم الدينية ». وكان اسقف اورشليم في ذلك العهد اذا خطب باليونانية ينقل الترجمان خطبته الى السريانية ليفهمها الشعب (٤) . وكذلك كان في كنائس مدن الشام قوم عهد اليهم نقل المواعظ والصلوات الى السريانية (٥) . وفي سيرة القديس هيلاريون السائح شهادة صريحة للقديس هيرونيوس بان اهل فلسطين كانوا يتكلمون بالسريانية وبما ورد في اعمال سمان المعروف بسالوس ان السريانية هي لغة اهل سواحل الشام . وكان يوسنا ان ندد هذه الشواهد لولا خوفنا من الاسهاب المل . وفي الشواهد الساجدة دليل واضح على ما اردنا بيانه من حصر اللغة اليونانية في بعض الاماكن المتباعدة زدد على ذلك ملاحظة اخرى يشهد التاريخ بصحتها وهي ان اللغة العربية لم تنتشر في غير البلاد التي كان اهلها يتكلمون بلسان يشبه العربية كالسريانية والكلدانية والنيقية والحيرية او احدى اللغات السامية . ألا ترى مثلاً بلاد الاندلس التي تورى عليها العرب بيقاً وثمانائة سنة فان اهلها الاصليين حافظوا على لغتهم اللاتينية او فرغ منها ولم يأخذوا من العربية الا بعض مفردات (٦) . وكذا اهل صقلية واهل الهند وفارس فان العربية لم تعم القوم فيها لتباين لغات اهلها من العربية والاسر بخلاف ذلك في سورية فان اللغة العربية اصبحت اللغة الشائعة عند الخاص

(١) في كتاب ردم على سليس (contra Celsam, VII. c. 9)

(٢) في مسره التاسع عشر الى اهل انطاكية

(٣) مسره في الشهاد . (ed. Monfaucon; T. II, n° 1, p. 951)

(٤) راجع رحلة القديسة بيلجيا (Peregrinatio Sylviae, 107)

(٥) (Duchêne: Antinomies ecclésiastiques, p. 50)

(٦) قد ذكرنا عدّة من هذه الالفاظ في كتابنا المشون Remarques sur les mots français

dérivés de l'arabe, Beyrouth, 1890

والعام بعد مئتي سنة فقط اللهم ألا بعض الأماكن المعتزلة أو الجليّة كشارف لبنان مثلاً حيث دامت اللغة السريانية قروناً عديدة. فلو كانت لغة أهل سورية هي اليونانية لما غلبت عليها العربية لتباين اللغتين والفرق العظيم الذي بينهما ولنا برهان آخر على حقيقة هذا القول وهي أسماء مدن الشام فإن اليونان أطلقوا على أكثر مدن سورية أسماء يونانية فدعوا ببلبلك « بيلوبوليس » وتدمر « بلمير » وحلب « بيروا » وجبيل « بيلوس » وبترون « بوتريس » وعكّة « بطولومايس » الخ فما كاد العرب يفتحون سورية حتى توارت الأسماء اليونانية وظهرت الأسماء الأصلية وفي ذلك بينة على أن أهل البلد لم يفقدوا لانهم القديم وانهم حافظوا على أسماء هذه المدن. وإن قيل أن عدّة مدن تُعرف إلى يومنا بأسماء يونانية كطرابلس واللاذقية وبانياس أجبنا أن هذه المدن كان بناتها اليونان فدُعيت لذلك بأسماء يونانية وبعضها لم يشتهر إلا في عهد اليونان فشاعت أسماءها اليونانية إلى اليوم (١)

٢

فثبت إذن مما سبق أن اللغة الثامنة في سورية بين الأهلين لم تكن اللغة اليونانية بل بعض اللغات السامية لاسيما الآرامية
أما كون الملكيين كانوا يتكلمون بهذه اللغة الآرامية أو السريانية فلنا على ذلك أدلة باهرة أولها اسم الملكيين الذين نحن في صددهم فإنه لا مرّ مقرر أن كلمة الملكيين سريانية (تشبها العربية). فكيف يأتري يجوز القول بأن قوماً من اليونان دعوا باسم اجنبي لا علاقة له مع اللغة التي يتكلمون بها عر اسم تنذر منه لغة هوميرو وافلأطون وارسطو. وفي تراويج الفرنج المعروفين بالصليبيين يطلق عادة اسم السوريين على الملكيين وهم يُشعرون بأنّ لتتهم الطقسية هي السريانية ويفرزونهم عن يوتان الجزائر الذين يدعونهم غريفون (Griffons)

هذا ولنا برهان آخر على كون الملكيين سوريين وهو استعمالهم للغة السريانية في طقسهم كما أجاد في بيان صاحب مقالة النار (ص ٣٢٨) جناب أمين خيراتته. وهو لعمرى أمر لا يمكن إنكاره يستند إلى شواهد تاريخية عديدة فضلاً عن أقوال ائمة

(١) راجع مقالة الطبيب الذكر المطران اقليس داود في اللغة الثامنة في سورية قبل الهجرة (المشرق ١: ٢٤٨)

المشترقين (١). منها شهادة البطريك الاطليكي تاردورس بلسمون من الد اعداء اللغة السريانية. فهذا البطريك يرخص في احدى رسالاته للملكيين الذين يجهلون اللغة اليونانية ان يحافظوا في طقسهم على لغتهم الاصلية (٢) يريد السريانية لان كتب الطقوس لم يعرفها الملكيون الا بعد ذلك بامدٍ مديد

ومما يزيل كل شبهة بهذا الخصوص ما المع اليه جناب الاديب خير الله من وجود كتب عديدة للملكيين فيها بالسريانية او الكرثوية طاموس كنيستهم. وهذه المخطوطات لا تكاد مكتبة من عواصم اوردية الكبرى تخلو منها لاسيما رومية وباريس ولندن. ولا يزال منها في الشرق بعض كتب. ففي كنيسة الحبيثة في بكفيا انجيل قديم بالكلدانية كان يُقرأ في كل ايام السنة عند الملكيين. وفي خزانة كتبنا الشرقية كتاب رتب الملكيين وصلواتهم بالعربية والكلدانية خُطت منذ نحو ٣٠٠ سنة. وفي مكتبة دير الشرفة كتاب بالسريانية فيه الحان طقس الملكيين مع العلامات الموسيقية (٣). وقد افادنا الاديب حبيب افندي الزيات (المشرق ٢: ١٨٩٩) ان في مكتبة دير الروم في صيدانيا كانت عدة مخطوطات سريانية حرقها اصحابها جهلاً وغباوة. هذا الى شهادات أخرى كثيرة عددها السيد الجليل الطران يوسف الدبس في نبذة التاريخية في القروض البيعية (ص ١٨ - ٢٩). وفي جملة ما نقل سيادته (ص ٧٤) شهادة البطريك مكاروريوس سنة ١٦٧١ يقول فيها: « نحن نصلي في كناننا وبيروتنا باليونانية والسريانية »

ومما يؤيد قولنا السابق ان السريانية لا تزال دارجة الى يومنا في معلولا وما يجاورها واهل تلك النواحي ليسوا بموادنة او يعاقبة بل هم ملكيون قسم منهم كاثوليك وقسم ارثوذكس

ثم اذا تصفنا التاويخ وجدنا ان الملكيين السوريين كانوا يجهلون في الغالب اللغة اليونانية (٤). ففي المجمع الذي عُقد مثلاً في القسطنطينية سنة ٨٦٦ يُخبر عن مطران

(١) راجع ما روينا عنهم في مجلة الابحاث (Etudes, 15 Fev. 1895, p. 291)

(٢) راجع مجموع افعال الالبا اليونانيين (Migne, T, 137 col. 958)

(٣) راجع مجلة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient chrétien IV, p. 133)

(٤) راجع مقلنا السابق ذكرها في مجلة الابحاث

صور الملكي انه لم يحسن التكلم باليونانية. فاذا كان هذا امر احد الاساقفة فما القول عن الكهنة والرعية. وفي سنة ١٠٥٤ طلب بطرس البطريرك الانطاكي في مدينته رجلاً قادراً على نقل رسالة البابا لاون التاسع الى اليونانية فلم يجد. واخبر المورخ زغمالاس (Zygmalas) ان ميخائيل بطريرك انطاكية لم يتقن اليونانية مع ضلوعه باللغتين السريانية والعربية. ولا ظن ان الشعب كان ادرى باليونانية من رعايته

ولعل متراضاً يعترض بذكر « اتفاق الكنيسة الانطاكية مع اختها الكنيسة القسطنطينية بالطقوس (راجع المنار ص ٣٣٥) ». فنجيب ان وحدة الطقوس لا تثبت وحدة اللغة الدارجة. ألا ترى ان طقس فرنسة هو الطقس اللاتيني مع ان الشعب لا يتكلم باللاتينية. ثم هذه الوحدة الطقسية نفسها ليست بتدعية (١) لان كنيسة انطاكية كانت تستعمل في قدامها ليتورجية القديس يعقوب الى القرن الثاني عشر فبدل البطريرك ثاودوروس بلسون وكان اصله من القسطنطينية هذه الليتورجية القديمة بليتورجية القديسين يوحنا ثم الذهب وباسيلوس الكبير محتجاً بأنه يقتضى على كل الكنائس ان تتبع الكنيسة القسطنطينية. في طقسها (٢). وكان ابدال الطقس في كنيسة انطاكية من اقوى عوامل انحطاطها وتسلط البطارقة القسطنطينيين عليها، ولم تزل منذ ذلك هذه السطوة تتزايد وتقرى الى يومنا

ويحتج علينا المعترض بحجة اخرى وهي تأليف الآباء السوريين باليونانية كالقديسين يوحنا ثم الذهب ويوحنا الدمشقي وصقرونيوس. والجواب على هذا الاعتراض مع ما فيه من الصحة ليس بصعب وهو ان اللغة اليونانية كانت في القرون كاللغة الرسمية في الكنيسة فكان الكتبة يفسرون الكتابة فيها فلا ينتج من ذلك ان الجميود كان يتكلم بها. كما ان اللاتينية بقيت مدة اعصار متواليه لغة العلماء. دون ان تكون اللغة الدارجة بين الشعب. واليوم ترى في الجزائر الاكايروس يتكلم ويكتب بالفرنسية فنقول ان هذه اللغة هي لغة اهل الجزائر

هذا ونضرب صفحاً عن بعض اعتراضات أخرى التي بها من حاول دحض مقالة الحواجا خير الله كتشابه اخلاق السوريين والبرتان وبعض المعادات التي اتخذها الروم

(١) راجع انصارى (٤٩-٥٠) (٢) راجع اعمال الاباء اليونان لمن (١) المجلد

١٣٢ ص ٩٥٤. وفي هذا الجزء ترجمة البطريرك بلسون (ص ١٠-٢٠)

الاورثودكس من اليونان (راجع النار ص ٣٢٧) فان مثل هذه الاعتراضات لا طائل
تحتها ولا تستحق جواباً

٣

هذا ويبقى الرد على زعم آخر استند اليه البعض لينفوا قول من يقول باصل
الملكيين الآرامي . وهو ان الملكييين عربٌ جنساً . واقوى براهينهم على ذلك انتشار
اللغة العزية في ظهور انهم منذ مئتين من السنين . لكننا قد بينا سابقاً ان لانتشار اللغة
العربية بين السوريين سبباً آخر فلا حاجة الى التكرار

ثم لا ننكر ان قوماً من قدماء العرب النصارى دخلوا في عداد الملكييين كما
دخلوا ايضاً بين الطوائف الاخرى من نصارى الشرق . ولم نك لتجهل ان قبائل العرب
كانت متاخمة لبلاد الشام وانها تجارزت حدودها مراراً فاختلطت باهل سورية لاسيما
في ناحية غور الاردن وبلاد حوران ونواحي حمص . ولكن لا طاقة الى القول بان عدد
هؤلاء العرب بلغ الى ان يتغلب على العنصر الآرامي الاصلي في بلاد الشام

اماً قول القائل (النار ٣٢٦) : عن « استيلاء الفسائيين على دمشق وجهاتها قبل
الاسلام واتساط ظلمهم في البلاد حتى امسوا العنصر الغالب » فليس بصحيح من
وجوه منها ان الفسائيين لم يملكوا قط على دمشق وانما تولوا على قسم من حوران وبادية
الشام المستدة بين دمشق وتدمر . ثم ان المذهب الغالب على الفسائيين كان مذهب
اليعاقبة فلم يزيدوا عدد الملكييين زيادة تذكر . ولما ظهر الاسلام دخل قسم منهم في
الدين الحمدي وهجر القسم الآخر بلاد الشام

هذا ما بدا لنا ذكره عند مطالعتنا الجدال الواقع بين الخواجا خير الله وخصمه .
وظن ان روايته عن آرامية اهل سورية الملكييين هي الصحيحة وان الريانية كانت
لنتهم الدارجة بل اللغة الطقسية الى ان القب البطريكية القطنطينية سطرتها على
بلاد الشام . والله اعلم

البصر وبعض عيوبه

للكور ايبيريدون ابي الروس معاون اسبق في المستشفى الاقروني

في العين جهازان الواحد منها طبيعي (فيزيكي) يصور المرئيات والآخر حيوي يتلقى صورها